٣ - رحلة إلى ديار الروم

للسيد مصطفى البكرى الصديقى

للأستاذ سامح الخالدى

شرح ترجمان الأشواق لمؤلفه المحيوى :

« وجاءنى المحب المفرد جناب السيد محمد ، وتذاكرنا معه فى (شرح ترجمان الأشواق) لمؤلفه المحيوى ، فقال المذكور إنى ألحظ فيه من قصيدتين : الأولى (بأبى الغصون المائسات عواطفا) والثانية (مرضى من مريضة الأجفان) ولا أظن أن أحدا يمكنه أن يحذو على نسقهما للطف مبانى وظرف معانى . فحرك جمادى بذكرى هذه المعانى

« وفى صبحية يوم الحادى والعشرين من جمادى الأولى ، فتح الأحد ، بقصيدة اقتفيت فيها أثر العارف الأوحد ، سيدى محيى الدين بن العربى الفرد ، التى ذكرتها فى ترجمان أشواقها الذى يتوقد ، ومطلعها :

بأبى الغصون المائسات عواطفا الحاطفات على الخدود سوالفا

وهى قصيدة خارقة المعانى ، خارقة المبانى ، صحيحة الألفاظ ، مريضة الألحاظ ، تقتل العاشق وتحيى الناشق ، تخطف الألباب رشاقتها ، وتسكر الحجاب لطافتها ، معارضها به عارض ، ولو بلغ رقة ابن الفارض ، هذا والقصد التشرف بالاقتفا ، والتعرف باتباع أهل الوفا . وإنى لمعترف بالقصور ، عن ارتقاء هذه القصور ، معترف من بحر البحور ، ودر فرائد النحور ، مقر أن قصيدته الثريا وقصيدتى الثرا ، متبرك بنفسه الذى فى عالم الأنوار سرى ، ومطلعها :

قال الشيخ لا فض فوه :

بأبى وأمى من جلين متالفا وجلين كأسا قد أعان التالفا

وفى عشية ليلة الثالثة والعشرين من جمادى الثانى ؛ جاد الحق على عبده الحانى ، بقصيدة اقتفيت بها أثر العالم الربانى ، سيدى محيى الدين محمد بن على العربى الدانى ، فى قصيدته التى أودعها ترجمانه الحاوى ، ومطلعها :

مرضى من مريضة الأجفان عللانى بذكرها عللانى

ومطلع قصيدتى التى لقصيدته لا تدانى ، هو :

ألقيانى يا صاحبى القيانى جب حب فى الكاعبات القيان

واتركانى فى خلوة حلوة النيل كنيل إذ فاض أو سيحان

وكتبت كتابا فى سادس الشهر المرقوم إلى صديقنا فخر النجار حسن آغا بن مير صدرته :

تحايا كالفرائد والعقود تفوق شذا على نشر الورود

« ونعلم المحب الحسن الودود لأهل الودود ، أنا اجتمعنا بالأخ المحمود السمات والولد المسعود ، لدى الوزير المشير المعمود ، وكان حدثنا جنابه عن بعض إشراف أشواف لكم يسود ، ويسود على من قام به بنفحات الجود ، وذكرنا لجناب الأخ الوفى الوعود ، إسماعيل أغا وولدكم عبد الله جلبى الموفقين للوقوف مع الحدود من جهة الورد المورود ، فوعد الولد والأخ المعدود ، فى عداد جناب المشهود لأهل الشهود ، وبإرسال نسخة منه لضياع نسختنا عن يد حسود لا يسود ، فالمرجو المساعدة فى إرسالها دون إهمال ولكم الثواب فى اليوم المورود بجول المبعود . والسلام عليكم وعلى من لديكم ما لاح من الصباح عمود » ، وقد طلب والده الحاج عبد الله الإجازة فى السند فكتبت له ذلك

نشر السبحة للطريقة الخلوتية فى الاستانة :

« وكان ممن اصطحب معنا ونحن فى اسكدار ذات الشروق ، المحب الفالح الشيخ أحمد الملقب بذروق ، الجزائرى بن الشيخ عبد اللطيف منح رعاية الحقوق ، ثم تم به فرط الحب الزائد البروق ، حتى اتصل بالطريق السلوك المطروق

وأخبرت أن ليلة أخذه حال المبايعة التى عندها يحوق ، أخذ جماعة من الروحانيين أهل التحوق ، وكان تقدم لجماعة منهم أخذ يفوق ، فى نابلس المحروسة وغيرها من الأماكن المقدسة التى للقرب تسوق ، وعدهم يسوف على الأولى ما بهم عقوق ، وفيهم من طائفة (الخلوتية) سرب مسوق ، وكبارهم أربعة سباق ما بهم مسبوق ، أحدهم أحمد الرطام ، وابن باها ، وعلى الدرادى ،

وقدابو ، وغيرهم تحت حكمهم مسبوق ، فلما سمع هذه القصيدة الأخ المذكور المأسور المطلوق، قال إنها ليست فى طوق البشر المخلوق ، وإنما هذه كرامة أكرمت بها لسريانها فى القلوب مسرى الدم فى العروق ، وكذلك الحب الصدوق ، السيد محمد العاشق المعشوق، مدح وقال يدرك أنها من الفتح اللدنى كل من يشم الروائح وللطاعم يذوق

سليمان باشا العظم يعتب على الشيخ البكرى فيعتذر الشيخ له :

« وفى يوم ثمانية وعشرين من جمادى المذكور ، ورد على كتاب من الصهر المشكور، ذكر فيه أن جناب الوزير الكبير الوقور ، (سليمان باشا العظم والى دمشق والشام) عتب على الفقير من عدم كتابة سطور ، فى رق حب منشور، فكتبت لجنابه كتابا يفور، بحب كأسه يدور، وصورته :

ما زلت أستخدم الدعائم نسمى لإعلاء أعلى الدعائم

تكريمات لا تحملها أجمال الطروس ، وتسليمات لاتعادلها أحمال عطر عروس، يعطر الكون رياها، ويشرق من لامع محياها، كنت أرسلت للصديق الأمجد الذكى ، جناب الحاج محمد جلبى بن مكى ، كتابا، ووكلته بإبلاغ سلام عام تام جمع لبابا، ثم ورد على من جناب الصهر المحترم ، السالم السامل الأفخم ، كتاب قد وطاب، وأنبأ عن عتاب من الجناب، والحال أن الإحجام، مراعاة للمقام ، الخطير المطير المطير ، بتزير ماء المجد الصير ، ولما تحقق الفقير أن الجناب الكبير يقبل مكانية الحقير، بادرت لها مشمراً أى تشمير ، فالرجو من الأخلاق الكريمة المساعة فيما وقع من تقصير »

« وأرسلت للأخ الحسن الحاج حسن بن مقلد كتابا، فى هذا التاريخ جوابا عن كتاب فى الحب يشهد، كما كتبت للولد الصلبى ثمرة قلبى، كتابا جوابا جوابا عن كتاب نق كربى»

« وممن صحبنى بحب مريش ، الأخ الحاج مصطفى بن الحاج خليل الشهير بابن كشيش، ومعناه بالعربية القسيس وكان يقول لولاه ، نسبنا إلى الخسيس ، البغدادى وطنا ومسكنا ، وكنت اجتمعت به فى الرحلة العراقية وبيده مقاطعة الدجيل ، وهى مواصلة لمن كان ذا قوة فى المال والخيل والحيل ، ولما رآنى وعرفنى لازمنى إلى أن اندرج فى سمط أهل الطريق ، يوم الوداع الذى أذاع كامن الحريق، والمذكور له فرط سخا، لأنه ابن رخا، واعتقاد وانقياد، فى أهل الله الأمجاد

« وممن صحبنى لديه ، لإقباله عليه ونظره إليه ، الشيخ صالح الحافظ ووالده ، ولما توجه والد المذكور، الشيخ عبدالقادر لدار السلام بمعونة الغفور ، كتبت كتابا بما تقدم من سطور ، للأخ الأمجد، السيد أحمد القادرى المفرد

الشيخ يستخير الله فى السفر :

« وكان الخاطر تحرك إلى السير فى الركب المصرى فاستخرت الله فى السير لتلك الممالك فوقعت الإشارة فى قرب الإذن بهذه الزيارة ثم رأيت أول شهر رجب أن رجلا تسمى بهذا الاسم المرجب، اعتنقته ونمت معه على فراش، والقلب من السرور فى خفة الفراش ، فأخبرنى الحب الأمجد، السيد محمد الأوحد، أنه رأى فيما يراه النائم أن الحقير ، قد حوط بيديه على عمود من نور كبير، فأخبرته بما رأيت وقلت له أظن أن هذا المحاط، حقيقة شهر رجب الرفيع الاعتباط ، فقال نعم رأيتك حوطت عليه الإيقدار أربعة أصابع صغار ، فقلت إن كثيرا من حقائق الأشهر المباركة، يفعل معهم هذه الوصلة والمشاركة ، وقال لى، أبشرك أنك الآن مطلق، فأين ما أودت توجه فإنك موفق

السيد محمد خليل البكرى يعارضه فى سفر الشيخ فى الشتاء :

« وفى ليلة الخميس، الثانى من رجب الأنيس، توجهت إلى دار ابن العم، محمد خليل افندى الأكرم، وبت لديه، وعرضت أمر السفر عليه ، فلم يطب له التوجه فى الشتا ، ولكن لا يرد الأمر إذا الله أتى

فكلام بهية سامر الخالدى